حـــوار

حـــول الـحب

شخصيات المحاورة:

صونيا : صاحبة المنتدى الأدبي، سيدة ثرية جميلة مثقفة.

سليمان: مثقف يحمــل لـــواء العقـــل وسيادة قوانينــه.

حســـام: شاعـــر مبــدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.

عليـــا: مديرة ثانوية رسمية.

عبيــدة: صاحبة مكتبة.

ريتـــا: مصممة أزياء.

الياس: عالم فيزياء متنسك.

صونيا: في مقـال قديم لسليمان عنـوانه الثابت والمتحرك قـال فيه أنّ الحـركة هي جـوهر هذا الوجـود،جميع الجزئيات تتحـرك باتجـاه المطلق وجميع المحسوسات تتحـرك باتجاه المجـرد، والمجـرد بدوره يتحرك باتجاه المحسوس والمطلق باتجاه الجـزئي، حتى نصبح قادرين على تلمس المجرد من خلال المحسوس والمطلق من خلال الجزئي وبالعكس.

نحن فـي منتدانا نملك هذه الرؤية، ومنذ البداية سعينا للتواصل مع المطلق الكلي من خلال مفاهيمنا الجزئية.

حسـام: إنهـا رؤيـة أصحاب البصر والبصائـر، فأنا مـن خـلال تذوقـي لجمـال الحسناوات في ارتشافي مـن شهد الرضاب، وتأرجحي بأهداب العيون، وسفري في ألق سراب الابتسامات، وتسلقي تلال النهود التي تموج بعطر الياسمين البري، أشعر أني أتواصل مع الجمال المطلق المجرد.

عليـا: أنت لست إلا مشعوذاً تُخـرج مـن فمـك الكلمات الملونـة كما يُخرج الساحر الحمام الأبيض من أكمامه، والحقيقة أنه لا يوجد إلا الوهم والسراب.

اليـاس: هذه هـي وظيفـة الشعـراء فـي هذا الشرق العتيق أن يقدموا للناس الأفكار المغلوطة والمشاعر الشاذة في كلمات ملونة دافئـة فتستقر تلك الأفكار والمشاعر في عقولهم وعواطفهم وكأنها قيم مقدسة يُنسج على منوالها لأنها تغدو مثلاً عليا.

عبيـدة: قبـل أن يتذوق الرجل جمال المرأة ويتغنى بذلك الجمال ويحاول تجسيده في أشعـار وألحـان وصور وتمـاثيل، كان الرجـل مجـرد وحش مفترس لا يستلـذ إلا استعراض قـوته بالتعدي على الآخرين قتـلاً واغتصاباً. مفتـاح الحضارة هو انتقال الرجـل من مرحلة الشبق الجنسي الى مرحلة الشبق الجمالي.

ريتـا: أنـا أعتبر حسام أستاذاً فـي علم الأخلاق وليس مشعوذاً كما قالت عليا، تذوق الجمـال ومحاولة رسمه بالكلمات هو ذروة الاحساس الأخلاقي عند الرجل، لأنه اذا تذوق الجمال عـرف أنه لا يجوز العبث به لإتلافه بل يجب المحافظة عليه وصيانته

مــن جهة، ويجب إعتبــار الجمال بتجسيداته الأنثوية المحسوسة ثروة جمالية تخص المجتمع يجب حمايتها علــى مبدأ الملكية العامة وهذا هو أعلى مراحل الأخلاق.

صونيــا: ولكني لم أفهم ماذا قصد اليــاس بالأفكار المغلوطة والمشاعر الخاطئة التي يزرعها الشعراء فــي أذهان الناس وعواطفهم.

سليمان: الحقيقة التــي لا مهرب منها أنّ الكثير مـن شعرائنـا القدامى والجدد زرعوا ويزرعون فــي الأذهــان والقلـوب مفاهيم خاطئة بل مميتة، إنها مفاهيم تنمي الروح العدوانية، وعدم احترام إنسانية الانسان في ذاته وفي الآخرين.

ريتـــا: هذا الكلام خطير إذا لم يبـرر فهو الروح العدوانية بعينها.

حسـام: إنه الحسد مــن الشعراء الذيــن غرّبت شهرتهم وشرّقت فــي الآفــاق، فنامت قصائدهم الى جانب الحسناوات على نفس الوسادة وافترشت نفس الفراش.

عليـا: هذا ما يحلم به خيالك المريض، لا شيء سوى دفـء الفراش وحرير الوسادة.

سليمان: أجمــل ما ورثنــاه من الشعر هو الشعر الجــاهلي لأنه يختزن بذور الحرية والفروسية والصراع بين الانسان كائــن فـرد والانسان كائــن اجتماعي، ويظهر أنّ الانسان بفطرته يعـرف معنى فضائــل الكرم والعطــاء والعفــة والعفـو عند المقدرة والتمرد على الاستبداد، وهــو ليس بحاجة الى تعاليم دينية تدله على هذه الفضائل.

حسـام: كل مـا فعلته الأديان في هذا المضمار أنها أنزلت الانسان الى مــرتبة العـبد الذي يـؤمر فيــأتمر وينهى فينتهي. الأديــان بمجملها حاولت أن تلغي العقـل الفردي لمصلحة عقـل جماعــي يحــول الأفـراد الى قطيع، وتجعل الحاكم ممثلاً شرعيـاً لله معصوماً مــن الخطــأ، والخـروج عـن طاعته هو خروج عن طاعة الله وخروج من الجماعة.

عليــا: الدين أيــاً كان هــو رضوخ لسلطة عليــا قـوتها غيــر محدودة تصنع مصير البشر دون أن تستشيرهم في ذلك، ومن يرضى بمصيره ويستسلم لتلك السلطة العليا

يكـون مــن المؤمنين، ومــن يتمرد يكـون خارجاً عـن الطاعة كافراً بالنعمة مشككاً بالحقيقة يرمى فــي نــار جهنم ليذوق عذاباً لم يحلم به خيال أعتى المستبدين.

صونيا: الديـن رضوخٌ هذا شيء لا شك فيــه ولكن هـل هـو رضوخٌ يرفع من قيمة الانسان أو يهبط بتلك القيمة الــى مرتبة العبودية تلك هـي المسألة التي لا تزال قابلة للنقاش والجدل، ولكننا اليوم اجتمعنا لنعيد البحث مرة أخرى فـي ماهية الحبّ بأبعاده السلبية والإيجابية، فدعوا شأن الدين والرضوخ أو التمرد الى حوار آخر.

سليمان: إذا أردنــا أن نفهم الحبّ مــن حيث موروثاتنا الأدبيــة لوجدناه ممثلاً برجل يؤرقه الشوق ويستبد به الهيام، يتراقص خيال المرأة أمام مرآة هلوساته فلا يرى فيه ألا أثــداءً تنهد وأردافاً تستدير وأفخاذاً كأعمدة الرخــام وخصــراً يكاد ينقطع وثغـراً باسماً يفيض بالعسل والخمر، والمرأة مغنــاج متمنعة لا مبالية تنام قريرة العين وهو المؤرق المهلوس الذي يحسب السراب ماءً، أنحله الغرام وأسقمه الهيام.

عليــا: ويبقى الرجـل مؤرقاً هائماً ناحلاً سقيماً، حتى تقع المــرأة في شباكه عنـدها يقضي حاجته ويتــرك حبيبته للــذل والهـوان ويرحل مفتشاً عــن إمرأة أخرى يبثها لواعج هلوساته ويهيم بها من جديد.

ريتــا: وعندما يرتــوي هذا العاشق مــن جنس النساء يفتش عن جنس الغلمان ليعثر علــى غلام قـد لا يتجــاوز عمــره العشر سنوات ليهيم بحــور عينيه وشهد رضاب شفتيه. والغلام كما المــرأة سابقاً متمنع حتى يسقط فــي الشباك عندها يفتض براءتـه كي لا نقـول يغتصبه ويرحل مفتشاً عن غلام جديد.

صونيـا: أي تراث مخجل هـو هذا التراث فأنا لم أجد عاشقاً واحداً من عشاق العرب حاور المرأة، ناقشها وانجذب الى عقلها وحكمتها أو تحدث عن جمال نفسها وشفافية روحها.

اليــاس: والأدهى من ذلك أن هذا العاشق الذي يجمع بين النساء والغلمان يغار على حبيبته مــن الهواء يلفحها وأشعة الشمس تتسرب الــى مسام جلدها، حتى يغار عليها مــن الماء الذي يلامس أثداءها وهـي تستحم. ناهيك عن أعين الرجال الآخرين حتى

ولو كانوا إخـوة وأولاد عمـومة وخـؤولة، وبحجة هـذه الغيـرة يحجبها عن الهواء والمـاء والشمس والعيـون، يصادر حـريتها بحجة الحبّ الجـامح ثم يصادر عقلها ليجعل منها استنساخاً له تتبعه كما يتبع الظل صاحبه، فتغدو الحبيبة المسكينة وكأنها روبوت لا إرادة لها ولا عقـل ولا شخصية وبعـد قليـل يتعفـن جسدها مـن الخباء والكبت ويتكـور ويتـدور وتنقلب الحبيبة الى كتلة مـن اللحم الرخـو والعقد النفسية، تنقلب مـن زهرة خـزام الى حنظلة برية لا تصلح إلا لمشافر الجمال.

سليمان: الحبّ فـي هذا الشـرق التعيس تمظهرٌ لنـزعة التملك والاستئثار في أقصى جموحها. أن تلتهم الحبيب وتهضمه حتى يغـدو جـزءاً منك، أن تمحـو له شخصيته المستقلة التي خصه بها الخـالق ليصبح منك كما الناظر الى نفسه في المرآة، لعمري هذه عملية اغتصاب وافتراس فـي أبشع صورها، والعجيب أنّ نساء الشـرق يتلذذن بهذا الاستلاب لشخصياتهن وكأنما استقلالهن وتميزهـن بكيـان لـه عقـله المستقـل وحريتـه المستقلة عبءٌ عليهن يـردن التخلص منه بأسرع وقت ممكـن، فيلجأن الى الهيمان بالحبيب والتمـاهي به كما كان المتصوفون القدامى يتماهون بربهم متلذذين بحالة انعدام الوزن والتوازن.

حسـام: الحبّ الحقيقـي هـو تنمية الاحساس الجمالي في العقل والخيال، وتمجيد ذلك الاحساس كمظهر من مظاهر تواصل الإنسان مع الله، وتواصله مع الطبيعة الأم، إنَّ الحبّ نوع راق من أنواع العبادة، ولكنه ليس العبادة بمعنى التبعية ومحـو الذات في الآخر على الطريقة الصوفية، بل هو العبادة بمعنى الغوص في بحر المعرفة للعثور على لؤلؤ التنـاسق والتناسب والتناغم الذي يجعلنا نـرى الوحدة فـي الكثرة ونشاهد التجلي الإلهي فـي المحسوس المادي، إنه نوع مـن تسلق سلم الجسد المركب الفـاني للوصول الـى الـروح البسيطة الخـالدة التي هي قبس مـن نـور الله، صدقوني أيها الأصدقاء لم أرتشف الرحيق من ثغـر امرأة قط إلا وأحسست أني أكثر روحانية من ذي قبـل، وأكثر قـرباً مـن حقيقـة هذا الوجـود، وأكثر استعداداً للتضحية والتسامح والتعاطف والعطاء.

عليـــا: أنا لا استطيع أن أفهم الحبّ خـــارج إطـار احترام استقلال شخصية الآخر ثم التنـــاغم علـــى قـــواسم مشتركة تثمر الراحـــة والتلذذ عنـــد الفـــريقين، دون أن تشكل ضغوطات تنتهي بنزعة الإستئثار والتملك.

اليـــاس: لا أستطيع أن أتصور كيف يعشق شاعـــر مـرهف الأحاسيس غلاماً لم يبلغ سنّ الرشد فيهيم بحـــور عينيه ويسكر مـــن خمـــرة شفتيه، ثم يشيع شعره بين النـــاس فيرددونه فـــي كل مناسبة سمر ومنادمة معجبين مستحسنين، بل يحاولون النسج على نفس المنوال وكأن هذا النوع من الغـزل أصبح مثلاً أعلى يحتذى.

ريتـــا: هذا يـــدل بشكل لا يقبل الجدل بأن تراثنا لا يملك حساً جمـالياً، فأنا لا أستطيع أن أفصل الحسّ الجمالي عن الحسّ الأخلاقي وعن حقائق العقل.

عليـــا: إنـــه ليس أكثـــر من شبق جنسي سببه الكبت والاستبداد والفقر.

اليـــاس: وما دخـــل الكبت والفقر والاستبداد في فهم معنى الحبّ والتعبيـر عنه.

حســـام: أخبرني صديق عـــراقي أن بعض الشبان فـــي الأرياف يمارسون الجنس مع إناث الحمير، والمجتمع يعرف تلك الحقـــائق ولا يستنكرها، وهـــو بنفس الوقت يأمر بتحجيب النساء وملازمتهن بيـــوتهن، ورجـــاله مستعدون أن يستلوا خنـــاجرهم إذا ما عرفوا أن شاباً سرق من صبية قبلة أو ضمة أو أكثر أو أقل.

سليمان: لا زال الرجـــل فـــي مجتمعنا حتـــى اليـــوم يعتبر النساء قسميـن، الجـــواري والحـــرائر، فالجاريـــة تبـــاع وتشترى بالمـــال وهـــي مكـــرسة للذة الجنسية بأقصـــى مسلكيات التعهر والشذوذ، والحرة مكرسة للزواج والانجاب وهي التي يفرض عليها الحجاب وملازمة البيت وتوضع تحت شروط قـــاسية فهي تحتـــاج الى ولي أمر ولا يحق لها التسليم باليـــد إلا علـــى المحارم، ناهيك عـن قيادة السيارة أو ممارسة العمل الحـــرّ.

صونيـــا: هذا كان فـــي بداية القرن الماضي، أما اليوم فالمرأة شريكة الرجل في العلم والعمـــل والانتاج المادي والفكري.

سليمان: مـا تقـولينه صحيح هنـا أو هنـاك، ولكن سايكولوجية الرجل لم تتغير عن الماضي كثيراً، فهو يحلم بامرأة عصرية تلبس أحدث الأزياء وتتكلم اللغات الأجنبية وتمارس العمـل والانتاج وتعيش أفكـار ومسلكيات عصـرها، وذلك ليتخذها عشيقة يتدلّه بها ويدبّج لها القصائـد فـي التغني بجمـالها الجسدي ومـا تظهره مـن أنوثة ملونـة، ولكنه عندما يريد الزواج يفتش عن فتاة أهلها علموها كيف تمارس الطقوس الدينية وتؤمـن إيماناً قاطعاً بعذاب القبـر والقضاء والقدر والرضى والتسليم، وتحبّ زيارة قبـور الأوليـاء، وهـي تكره أن تمارس الجنس إلا بغيـة إنجاب الأطفال وهي تعلـن أنها لا تعرف من ملذات الجسد غير الأكل والشرب، ولا تقرأ الا كتب الوعـظ وسير الأنبياء والأولياء.

والأدهـى مـن ذلك أنّ المـرأة تستجيب لتلك المتطلبات أو تتظـاهر بذلك فهي فـي حضور زوجها دائمـة البسملة والحمدلة والاستغفـار وتأديـة الفرائض والإكثار من الدعـاء والتحشم فـي الملبس والمسلك، ولكنها فـي غيـابه تنفق الساعات إمـا وهي ترقص قبـالة المـرآة أو وهي تتحسس أعضاء جسدها تحت جاذبية الماء الساخن في الحمـام، واذا ما اجتمعت مع جـاراتها فكل الكلام يـدور علـى محـور المضاجعـة وطرقها وأساليبها بلغة كلها فحش وبـذاءة. صدقوني أيها الأصدقـاء هذه هي الحقيقة التي لا يريـد أحد أن يعترف بها، الرجـل خارج بيته دون جوان كل أحاديثه ونكاته وطرائفه وقراءاته عـن الجنس وملذاتـه واكتشافاته، وداخل البيت هو المؤمن الورع الحريص علـى العـادات والتقـاليد حتى يصدق نفسه أخيـراً ويقتنـع بـأنّ هذا هـو الصواب، وبأنـه لا تزر وازرةٌ وزر أخـرى، فهذا شيء وذاك شيء آخر. أما المرأة فلا بأس إن تعهرت كلامـاً وممارسة مع غيـرها مـن النساء شرط أن يبقى مظهرها مظهر السيدة الأم الوقـورة أمام أعين الآخرين.

حسـام: لكل هـذه الأسباب مجتمعة يجب الـربط بين مسألة النضال مـن أجل تحرير المـرأة مـن التقـاليد والعادات المغلوطة وبين النضال مـن أجل تحرير المجتمع من الإقطـاع السياسي والديني والمالي، وتحرير الوطن من الهيمنة الخارجية، فالكل في سلة واحدة، فلا الوطـن يستطيع أن يتحـرر مـن الهيمنـة الخـارجية، ولا المجتمـع يستطيع أن يتحـرر مـن مراكـز القـوى الإقطاعيـة، إلا اذا تحرر الرجل من عقده

النفسية ومـن ثقـافته المغلوطة، وتحررت المرأة من إزدواجية الشخصية ومن الفكر الخـرافي والمعتقدات البـالية، وأصبحت شريكـة حقيقية للرجـل فـي العلم والعمـل والانتاج والمواقف والـرؤى.

عليـا: تقـول فـي استنهاض المجتمع قصيدة، وفـي تحريـر الوطن قصيدة، لتصف جسد المـرأة بعشرات القصائـد، أنتم الشعـراء تبيعـون أصحاب العقـول الضعيفـة الأوهـام والأكاذيب، وتستدرجون النساء الـى مفـاهيم خاطئـة عـن الحبّ والجنس والحداثـة وأشياء كثيرة أخرى.

ريتـا: أنا شخصياً أعتبـر الشعر عاملاً مهذباً للغرائز الجامحة والملذات التي تخالف قـوانين الطبيعة، الشعر وحده القـادر على مزج الشعور الجنسي المتفجر بالكثير من الشعور الجمـالي الهـادئ حيث يحصل التـوازن بيـن هذا وذاك، ذلك التوازن الذي يعطي للسلوك طابعه الحضاري الانساني الراقـي.

حسـام: فـي كل حـروب العصور القديمة والوسطى كان المنتصرون يوزعون على أنفسهم الغنـائم المـادية والبشـرية حيث توزع النساء والأطفـال كرقيـق يفعـل بها أصحابها ما يشاؤون دون أي حسيب أو رقيب، فهـي أملاك شخصية لا يوجد لها أي قيمة إنسانية، بل لا يوجـد أي معيار أخلاقي للتعامل معها.

صونيا: وهكذا تمتلـيء قصـور القـادة بالجواري والغلمان وتتحول هذه القصور في السر الى مواخير دعارة وشذوذ ولا من يسأل أو يحاسب، ثم يأتي الشعراء فيمدحون أولئك القـادة بالقصائد الغـراء حيث يُصوَّر القتـل مفخـرة والسبـي فضيلة والنهب رجـولة والتوحش مأثـرة، ثم يتباهى أولئك الشعراء بأنهم وقعوا ضحية حبّ مفاجئ لإحدى جـواري القصر وهم يتأججون شوقاً والجواري يتمنعن غنجاً ودلالاً. أو لأحد غلمان القصر وعـادة ما يكونوا مجرد أطفـال قاصرين، حيث يظهر الشاعر هيمانه بسنا الوجه الذي يشبه وجه القمر، وبالعارض الشنب والعينين الناعستين النرجسيتين والشفـاه القـرمزية اذا كان الغلام مـن أصل صقلبي، ناهيك عـن الردفين الممتلئين الرجراجين.

عليــا: اغتصاب الأطفــال إناثــاً أو ذكوراً هو عنوان الحبّ في تراثنا الميمون، حتى حوريات الجنــة لم ينجين مــن الاغتصاب فقد صورهــنّ خيــالنا المريض أنــه كلما افتضت بكارة الــواحدة منهنّ بأقصى جمــوح الدحم عــادت اليها بكارتها لتفتض من جديــد، وكأن هذا المــؤمن الورع لا عمــل له فــي الجنة إلا افتضاض البكارات.
إنها ثقافة الغزو في العقلية البدوية التي لا ترعى للانسان كرامة أو حقوق فهو مجرد غنيمة.

سليمان: أظنك قــد ظلمت المرحلة التــي تتخيلينها بدوية دون أن تدري، فالعرب في العصر الجــاهلي كانوا الأكثر فروسية وأخلاقاً وإنسانية وتهذيبــاً وحساً جماليــاً منهم في الحضارتين الأمويــة والعباسية ثم السلجوقية والأيوبية والمملوكية والعثمانية. فها هــو عنترة يغضّ الطرف عندما تبــدو له جارته تهذيباً وحيــاءً، وها هو أيضاً يغشى الوغى ويعف عند توزيع الغنائم، أما طرفة بن العبد فهو يهبّ كالصقر الجارح ليلبي نـداء الضعيف المظلوم، إنه غوث الطريد والمستضعف، وها هو حاتم الطائي يخجل أن يأكل ويشبع وهناك في الحــي أو الجــوار شخصٌ جــائع، ناهيك عن زهير الذي يقــول لصاحب المــال أنه اذا لم يضع مالــه في خدمــة الجماعة يُستغنى عنه ويُذمّ، ويقــول أنّ الانسان بكماله عقلٌ يفكر ولسانٌ يعبّر وما عدا ذلك لحمٌ ودمٌ تافه لا قيمة له، أما الحس الجمــالي عند امريء القيس فلا زلنا نأكل من فتات مائدته حتى اليوم، وإن نسينا فهل ننسى السموأل وحفظه للأمانة التي إئتمن عليها وشهامته وعزة نفسه. المستوى الأخلاقي والحس الجمالي في العصر الجاهلي كان أعلى وتيرة منه في كل العصور إذا استثنينا شذوذاً واحداً هــو المتنبي أستاذ الفروسية والعفة والرجولة وسيد الحبّ والغزل الذي يليق بأخلاق الفرسان وشذوذ القاعدة يثبتها ولا يلغيها.

اليــاس: كيف يحــقّ للانسان المنحط أخلاقيــاً أن يدّعــي أنــه عاشق متيم يغني آلام الحبّ وأشـواقه والتفــاني في نيــل رضى الحبيب، هل نتوقع من الظالم المستبد الذي يتعامل مع عمــاله فــي المصنع أو فلاحيه في الحقــل أو خدامــه فــي البيت بأقصى درجات الجشع فــي الاستغلال والابتــزاز، رقــة وشفــافية تتلاءم مع مناجاة الحبيب بكلمات تكاد تذوب حـروفها لوعـة وأسىً، هل نتوقع من المتسلط الذي يصادر عقول موظفيه ليجعل منهم مجــرد آلات إنتــاج، ويصادر حرياتهم ليجعل منهم مجرد عبيد

ينفذون الأوامر والنواهي، ويصادر أتعابهم فلا يعطيهم من إنتاجهم إلا الفتات يرميه لهم بتعال واستكبار كما ترمى الفضلات لكلب شارد. أن يكون العاشق النموذجي في الاخلاص والوفاء وحفظ العهد والودّ، هل نصدق هكذا إنسان وهو يبث لواعج حبه وغرامه ويصور نفسه بصورة المخلص المتفاني الذي يسهر الليل والدموع تترقرق في مقلتيه وهو يناجي طيف الحبيب ثم يصور نفسه نحيلاً سقيماً أدمى قلبه الصدود فاصفرت وجنتاه وذبلت عيناه وأخذ يهذي من حرارة الوجد فيردد اسم الحبيب في اليقظة والمنام وفي البيت وعلى الطرقات حتى يظنه الناس مجنوناً. كل ذلك برأيي هو مجرد تمظهرات للمجون والعهر ولا شيء غير ذلك، أو هو تغطية لعقد نفسية أو لشذوذ مسلكي، فالذكر الذي يلعب دور الأنثى في الممارسة الجنسية كثيراً ما يحلو له أن يتظاهر بمظهر العاشق المتيم الذي أضناه الغرام واستبد به الشوق الى الحبيبة فقط ليخفي عن أعين الناس واقع حاله.

حسام: كثير من النقاد والمنظرين فصلوا بين الفنّ والأخلاق فتركوا الأخلاق للوعظ الديني، وخصوا الفنّ بإظهار الجمال والتعبير عن تمظهراته بأفضل أسلوب ممكن. أنا شخصياً ضدّ هذا التنظير وذلك لسبب بسيط تعلمته من سليمان، وهو أنّ الأخلاق تناغم وانسجام بين مسلكية الانسان وقوانين العقل والطبيعة، ولا علاقة للدين في هذا المضمار. بل لعلّ الأديان التي بررت التعدي على غير المؤمنين، برأيها، وقفت موقفاً غير أخلاقي قياساً لما كانت تفعله الشعوب الوثنية، ففي التوراة مثلاً أمر الإله يهوه يوشع بأن يغير على أرض الكنعانيين ويقتل رجالهم ويسبي نساءهم ويقطع أشجارهم حتى لا يدع هناك كلباً ينبح. إذا قسنا هذا المفهوم بما كان يفعله الرومان عندما يستولون على بلد، حيث كانوا يضمون آلهته الى آلهتهم ليسود السلام والعدالة، حتى أنه في بعض المراحل إعتلى عرش الامبراطورية الرومانية أباطرة من سوريا ولبنان، ولا زالت أسرة كركلا وهي من سلالة الأباطرة الذين حكموا روما، تنتج أجمل العروضات الفنية الإبداعية التي نتباهى بها أمام الآخرين.

عليا: الربط بين الأديان والأخلاق هو من أكبر المغالطات التي وقعت بها الانسانية، فالأخلاق برأيي مربوطة بمنطق العقل والفطرة التي فطر عليها الانسان، وأفضل أستاذ علم الناس الأخلاق هو الفيلسوف اليوناني فيثاغورس ومن بعده

أفلاطون فأرسطو، أيــن نــرى صور العدالة واضحة جلية كما نراها في محاورات أفلاطون، وأين نرى صور الصداقة والأخوة المبنية على التضحية والعطاء واضحة كما نراها عند فيثاغورس، وأين نرى فكرة التطهير وعودة النفس الى صفاء فطرتها واضحة كما نــراها عنــد أرسطــو، ثم العــودة علــى بدء أين نرى صورة الرجولة والفروسية والشهامة والكرم والأمانة واضحة كما نراها في شعرنــا الجاهلي.

صونيـا: كل ما قلناه مآخذ ونقد سلبي لا يفي بالغرض، نحن بحاجة الى آراء واضحة تحدد معنى الحب كمفهوم متكــامل ولا تسلط الضوء علــى بعض الأجــزاء وتهمــل الأجــزاء الأخــرى لماذا لا يحاول كل واحد منــا أن يقــدم مفهومه المتكامل في هذا الشأن.

عليــا: الرجــل برأيي هو رمز الظلم والاستبداد وغريزة التملك الجامحة، إذا لم يجد الرجل رجالاً آخرين يظلمهم قمعاً وابتزازاً واستغلالاً ظلم نفسه بنفسه، فعاطفته التي لونها بألــوان المعتقد الديني أو السياسي تقمع غرائـزه، ثم يأتي عقله المؤدلج بمفاهيم أكثــرها غيبي لا يمت الــى الحقيقة بأي صلة ليقمع عاطفته، ثم يتضامن الجميع لقمع الجسد المسكين، ولكن أشهر ضحايا ظلم الرجــل واستبداده هــي المــرأة، فمنذ القدم ألبسها الرجــل ثــوب ارتكاب الذنب وتأنيب الضمير عندما صورها بأنها إبنة حــواء التي أغــوت أبيــه آدم بالمعصية ومخــالفة تعاليم الــربّ فشطنت بــه عــن الســراط المستقيم، وأخرجته مــن الجنــة، لقد تحملت حــواء المرأة ومنذ البدء ذنب خروج آدم الرجل من الجنــة وأنّ كل ما لاقــاه مــن تعب وعناء وفقر وقهر هو في الأساس من جريرة ما فعلته أمها حــواء. فحواء برأيــه هــي ذات وجهين بوجهها الأول تغــريه بالمعصية والرذيلة والمخالفة والخروج عن السراط، وبالوجــه الثاني تغريه بالملذات والعربدة والمجــون، وفــي الحالتيــن هــي التي تقــامر برجــولته وفروسيته وحتــى بمصيره.

ولأجل هذا كله أصبح الرجل يتعامل مع المرأة بوجهين أيضاً، فهو في الوجه الأول يكرهها ويحقد عليها ويحملها مسؤولية كل فشله وتعــاسته، وبالــوجه الثــاني يرغب بجسدها ويشتــاقه ويشتهي لبنــه وعسله، ونتيجة ذلك أصبح الرجــل بقــدر ما يندفع وبجنــون باتجاه المرأة لامتلاك جسدها واستدرار خيراته، بقدر ما يحتقر ذلك الجسد

بعد أن يقضي حاجته منــه، ويتعامل معه بروح عدوانية فيحاول أن يخنقـه بالحجاب أو ملازمة المنــزل والابتعاد عــن النــاس، أو بالحرمــان من ممارسة العلم والعمـل والتطور والارتقاء.

وكلنا يعرف أنّ حــرمان المــرأة من العلم والعمــل والتطــور والانتاج يجرّ المجتمع برمته الى هــاوية الفقر والعــوز حتى حدود الكارثــة، ويجره كذلك الى هاوية الفكر الغيبي الخــرافي والازدواجية فــي الشخصية، حيث تصبح المــرأة المحكــوم عليها بالارتهان الى الحجاب والابتعاد عن أعين الناس فقاسة فكر خـرافي وأحلام من عالم اللامعقول تزرعها في أذهان أولادها ممزوجة مع أخبار الزهاد والعباد والمتصوفين ومع الحكايا التي تصور الحيــاة الدنيــا دار مصائب وكـوارث وتعاسة، وأنّ السعادة يجب ألا يطلبها ويتــوقعها الانسان إلا في دار الآخرة، ولكي نستحق الآخرة السعيدة علينا أن نرتهن لما يقــوله العقــل الجمعي الممثل بالحاكم مــن جهة ورجل الدين من جهة أخرى، وتلقين الأطفال أنّ الفكر حرام فهو زندقة، والتأمل حرام فهو تمرد على القدر ومحاولة حبّ الدنيا حــرام لأنه إحدى شبكات إبليس.

بل إنّ تلك المــرأة المرتهنة لا تعلّم أولادها إلا أنّ الأكثــر فقــراً هو الأقرب الى الله والى جنتــه، والأكثر توكلا هــو حبيب الله، ومــن يحاول حلّ مشاكل الدنيا يعترض على المشيئة، فــي هكذا واقع سايكولوجي وإجتماعي وإقتصادي كيف يتبلـور مفهوم الحبّ، إنــه يغدو مــزيجاً مــن الشوق الجارف للتمتع بجسد المرأة من جهة، وخوف جارف مــن الذنب من جهة أخرى، فينشأ الحب عاطفة كوكتيل من هذا وذاك، شهوة مكبوتة بــدل من أن تنفجر إشبــاعاً ماديـاً ونفسياً تنفجر شوقاً وهياماً وحنيناً، وإذا ما قــدر لها أن تصل الــى غايتها، إنقلبت استئثــاراً وغريــزة تملك ومحــاولة لإلغــاء شخصية المعشوقة لتنسحب عليها شخصية العــاشق، ويصبح الأمــر وكأن العاشق يعشق ذاتــه ولا يعشق حبيبته، أو كأنه يقبّـل صورته في المرآة وهـو يقبّلها، ويضمّ ذاته وهــو يضمّها، أي يغــدو الأمر نرجسية كاملة.

أيها الأصدقاء صدقوني الحبّ فـي هذا الشرق هو ردة فعل عنيفة لكبت مزمن عمره مئــات السنوات، إنه الكبت النــاجم عــن ممارسات الأنظمــة السياسية المستبدة التي يساندها فكــر ديني يسانــد الاستبداد تحت لــواء المقسوم من الله والمقدر، فالدنيا هي

مجـرد ممرّ قذر للوصول الى الآخرة السعيدة. ولأنه ردة فعل كبت مزمن هو نزعة جارفة الى تملك المـرأة جسداً وروحـاً، وتذويب شخصيتها المستقلة والتي لا تسمح الظروف التربوية والاجتماعية أصلاً بجعل شخصيتها مستقلة. هذا من ناحية الرجل أما من ناحية المـرأة فالحبّ هـو برأيي نـوع من الهـرب من المسؤولية، فالمـرأة العاشقة تريـد أن ترمـي بكامل مصيرها بين يـدي حبيبها يفعـل بذلك المصيـر مـا يشاء، إنها المـرأة الجبـانة التي لا تريد أن تتحمل مسؤولية بناء شخصيتها المتكاملة المستقلة التي لها بصمتها الخـاصة بها، إنها المرأة التي تريد أن تتجاهل أنّ الانسان لا يحـقّ له أن ينجذب الى إنسان آخـر إلا بعد أن يتواصل معه بالفكـر عبر الحوار والنقاش والمجادلة وعبـر النشاطات الفكـرية المشتركة، ثم بعد أن يكتشف بالعشـرة والتجـربة الحياتية أنه يملك وإيـاه أحاسيس مشتركة ومشاعر مشتركة ورؤية للحياة مشتركة، وأخيـراً بعد أن يتأكد أنّ التواصل بينهما تـواصلاً متوازناً وليس تـواصل قوي مع ضعيف وعاقل مع غبـي وكادح مع عاطل عن العمل، أنهي مداخلتي بكلمة واحدة، كل علاقة بين رجـل وامـرأة لا تقـوم على مبـدأ التـوازن فـي الإمكانيات والحاجات العقلية والعـاطفية والجسدية والاقتصادية والاجتماعية والسايكولوجية هي إستئثار وتسلط مـن أحد الفـريقين على الآخـر ولا يمكن اعتبـارها بأي حـالة مـن الحالات علاقة حبّ.

اليـاس: لقـد صدقت عليـا عنـدما قـالت أنّ الحبّ تـوازن ولكنها بخلت بالتفسيـر والتعليل. الحبّ برأيي المتواضع هو توازن بين الحسّ الأخلاقي والحسّ الجمالي في قلب الانسان وضميره ووجدانـه. الحسّ الأخـلاقي الذي يغلب على طبيعته الطـابع الاجتماعي لأنه ثمرة تفـاعل وتعـامل ومعاملة. والحسّ الجمـالي الذي يغلب علـى طبيعته طابع شخصاني ذاتي لأنه ثمرة وعي الانسان لجوهر إنسانيته، وعيه لخميرة الألـوهة في أعمق أعمـاقه. ولما كان الجمال في حـده الأدنـى تناسق الجزئيات في الكل، وفي حـده الأعلى اتحـاد الجانب الانساني بالجانب الالهي، فأنا أعتبر الشاعر الجاهلي أمرؤ القيس هو خيـر من عبـّر عـن التناسق المادي بين الأعضاء في جسد المـرأة، وجدنا ذلك في وصف بيضة الخدر فـي معلقته، وعـن التناسق بين الجمال الجسدي والذوق الأنثـوي كما وجدنا في تقابـل جمال بيضة الخدر بجمال فاطمة في

نفس المعلقة. ولكن جـريمة أمرؤ القيس التي لا تغتفر هي أنه زرع نموذجين للنساء في مخيلة الرجـل العـربي واحدة للمتعة والتلذذ المادي وأخـرى للصداقة والـزواج والتلذذ المعنوي.

ومنـذ ذلك الوقت وحتى اليـوم إزدوج المعيـار الأنثوي في ذهن الرجل العربي فهو يرغب بأنثى للمتعة وبأخرى للزواج والانجاب، وهذا هو المولد الذي ولّد كل النفاق والكذب في القول والعقل ولا يزال. الحبّ يا أصدقائي هـو روح التوازن، إنه العدالة بأبهى حللها، العـدالة التي لا تدرك تجسداتها الدنيوية إلا بفهم عميق لقوانين الطبيعة. وبمحاولة صادقة لمعرفة الغـاية التي من أجلها وجد الانسان. لنبدأ بعدالة التعامل مع الجسد، وخيـر من فهم تلك العدالة هم اليـونان، كل فلاسفة وأساتذة اليـونان وعلـى رأسهم أفلاطون جعلوا الرياضة ركنـاً أساسياً من أركان تربية الأجيال، وعللوا ذلك بسببين، سبك الجسد لإزالة الفضلات منه تمـاماً كما تسبك الفضـة بالنـار، وتليين الجسد وتطـويعه ليغدو سهماً منطلقاً الـى الأعلى منجذبـاً بالطبع وليس بالتكليف الى الرشاقة والشفافية الأمر الذي يزيده طهارةً وصفاءً فيغدو كقالب من الكريستال.

بعدها سبك حـواس الجسد وأحاسيسه بالموسيقى وأشهـرها العـزف على الناي لكي تـرّق الانفعالات وتتشفف بدورها وتغدو علوية الطابع وعلوية الغاية والهدف. بهذه الطـرق الحكيمة هـذب اليونان القدامـى الغريزة الجنسية وحـولوها من وحش هائج مفتـرس لا يشبعه إلا الدحم والاغتصاب والتمـزيق علـى غـرار شهـوة افتضاض البكارات والتلذذ بالضرب والعض والنهش مع الممارسة الـى جعـل الممارسة لحناً علـوياً له إيقـاعه المتناغم يعزف على أوتـار الجسد الشفاف المـرهف المهيأ بدوره للانطلاق الى الأعلى.

ثم يـأتي دور سبك العاطفة بواجبات الدفـاع عن الأرض والمجتمع والدولة تحصيناً لحرية الفـرد والجماعة، وحفاظاً على الملكية العـامة والثروة الجماعية، ثم بواجبات المشاركة في التشريع وسنّ القوانين التي تخدم الخير العـام وذلك بانتماء كل مواطن الى الجندية ومجالس الشيوخ، إنه تهذيب العاطفة برياضة الاحساس بالواجب هذا ما قاله اليـونان لإزالة الفضلات العاطفية من النفس البشرية.

وأخيراً يأتي سبك العقـول بالمعرفة والحكمة للوصول الــى فضيلة العـدالة في أرقى درجاتها حيث يتطهر الانسان مــن كل أنانية شخصية ومصلحة فردية فتلتقي سعادته بسعادة الآخرين وفرحه بفــرح الآخرين فيعيش في قلوب الآخرين ويعيش الآخـرون في قلبه، ينجذب تلقائياً الى الآخــر وينجذب الآخــر تلقائياً اليه، هذا هو الحبّ برأيي المتواضع.

ريتــا: تتقيــأون محفوظات حفظتموها عــن ظهر قلب تبــاً لرجال هذا الشرق كم هم منافقون، يحلمون بجسد المــرأة ليــل نهار، ينــام طيف الجسد الأنثـوي بجانبهم على نفس الوسادة، يقبّـلونه بنهم حتى يمزقــوا شفتيه،، يصلبون نهديه حتى يقطر الدم من الحلمات، ثم يصلبون أنفسهم بين نهديــه، أمــا خليج المحــار الدافــيء حيث أصداف اللؤلــؤ والشعب المرجانية المشعة بألف لون ولون، هناك يغوصون وأكثرهم لا يتقن فــنّ الغــوص فيغرقون ثم تعـوم جثثهم ليعودوا ويلتقطوها في صباح اليوم الثاني.
أنا أفهم الحبّ فهماً بسيطاً لا يحتمــل الطبــاقات والجناسات والمحسنات البديعية، إنه لذة الجسد الذكري فــي اختــراقه الجسد الأنثــوي. ولــذة الجسد الأنثوي في ارتشاف خيرات الجسد الذكــري، وكل هذا مؤطّـر فــي إطار من الألوان المعطرة والعطور الملــونة، ولكن فــي مجتمعات الكبت والحــرمان ينحرف الهدف عــن مساره، هناك الذكر الممعوس بحذاء الديكتاتوريات الدينية والسياسية والمـالية، الذكر الذي تعلم فنّ التــزلف والتملق والنفــاق، الذكــر المرتهن الى إرادة عليا سحقت له إرادته السفلى، والى عقــل جمــاعي إلتهم عقله الفردي، الذكر الذي أقصى أمنياته أن يكون عبداً في قصر السلطان ليــأكل ويشبع تماماً كما كلاب السلطان، الذكـر الذي يتماهى بالكلاب فهو يمـدّ عنقه ليدوس عليه السلطان بحذائه ويتلذذ ويتفاخر بذلك، ثم يعود الى البيت متنمراً لينبح بأقصى شراسته فــي وجــه المــرأة الـزوجة أو الأخت أو الإبنــة، فتمدّ المسكينة له عنقها ليــدوس عليه بحذائــه كما جــرى لعنقه تحت حــذاء السلطان ، ثم يقــارب جسد الــزوجة بكل تلك الغطــرسة الفــوقية متماهيــاً بفـوقية سيده. وتقـارب الزوجة جسد زوجها وهي خائفــة وجلة، إن فتحت له كنوز الملك سليمان أساء الظن بها وحسبها عاهــرة فيؤنبها وقد يضربها ويحبسها تأديبــاً ويغــار عليها حتى تخنقها غيــرته، وإن أقفلت له أبواب الكنوز أفرغ قذارته في أحشائها بأسرع ما يمكن وشتم

وبصق ولعـن جنس النساء، وقال في سرّه أنّ الغلمان أفضل منهن فلماذا لا يجـرب حظه مع الغلمان. أما المـرأة المسكينة فتوشحت بالسواد وانكبت على تأدية فرائضها الدينية علها تزيـد من حصتها فـي السماء بعد أن يئست تمامـاً من الأرض ورجـال الأرض. في هذا الـوقت المـأزوم قد يظهر غريب عـن الحـيّ أو شاب جـريء في مطلع الشباب تلتقيه المـرأة سراً فتفتح له أبواب كل الكنوز حتى تفقده رشده وعافيته فيظن نفسه عاشقاً مولهاً ويظنه الآخرون كذلك.

أيها الأصدقـاء أنظـروا واعتبروا.. كيف يتـوقع الانسان وجـود الحبّ فـي مجتمع صادرت فيـه الديكتاتوريات عقـول النـاس وحـرياتهم وإراداتهم وربطتهم بعجلـة مشيئتها كما يُربط الكلب بعربـة صاحبه. الحبّ لا يعرفـه ويمـارسه إلا الأسيـاد الأحـرار العقـلاء المريدون الذين اذا قالوا لهذا الجبـل انتقل فينتقل. الحبّ ملح طعام الشجعان الذين وضعـوا شجاعتهم في خدمة الذود عـن حرمة العدالة فهم لا يظلمون أحـداً ولا يسمحون لأحد أن يظلمهم، إنهم غوث المظلوم وطبق طعام الجائع وعكاز الضعيف العـاجز. لو قرنتم الحبّ بشـاب كطرفة بـن العبـد في العصر الجاهلي أو أحمد المتنبي فـي العصر العباسي أو المهاتما غـاندي وكمـال جنبـلاط فـي العصر الحديث لعلمت أنكم تـدرون عـن كثب طبيعة الحبّ وجـوهره. أما أن يقـرن الحبّ بالمخنثين المخلعين والمزدوجي الشخصية كجميل بثينة ومجنـون ليلـى لعمري هذه مجـرد أكاذيب، إنها تزوير فاضح للحقيقة التي لا يريـد أحد أن يعترف بها، إدرسوا أولئـك العشاق من خلال عقـدهم النفسية وواقعهم الاجتماعي واحصلوا على النتيجة الصحيحة الحبّ شـوق النفـوس الشجاعـة الـى الانعتـاق مـن قفص التقـاليد البالية والطقوس الخرافيـة للتحليق فـي سمـاء المطـلق، الحبّ هـو شوق الجسد المحـدود بالزمان والمكان للانعتـاق الى اللامحدود الذي يتمدد ولا يفتـأ يتمدد، الحبّ هو نداء الانسان الـى الله ليتأنسن ونداء الله الـى الإنسان ليتـأله. أعطوني رجـالاً ونساءً من نور ونـار لأعطيكم الحبّ على طبق من ذهب. الحبّ لذة المبدعين الملتزمين بكرامة الإنسان فـي ذواتهم وفـي ذوات الآخرين، الناذرين أنفسهم لمحاربة الظلم والاستبداد والتصنم والجمود والإرتهان الـى التقاليد الخرافية التي لا تخدم الا الاقطاع السياسي والديني والمالي.

حسـام: الشرقيون عموماً يحدقون في الشمس وأرجلهم غائصة في الوحول، يفلسفون المطلق وهم بالكاد يتلمسون المحسوس، أنا أفهم الحبّ فهمـاً بسيطاً أتشارك فيـه مع طلاب المدارس والبـاعة والعمـال، كل شيء يدخـل الفـرح الـى قلبي يكون محبباً وحبيباً، النسمة الطـرية وهـي تداعب عنقي حبيبة، الثمرة الناضجة التي أقطفها من بستاني حبيبة، خريـر الميـاه فـي الساقية، السماء الزرقاء الموشحة برقيق السحاب، رفوف البجع وهي تطرز الأفق، أنين شبّابة قبيل الغروب، إبتسامة مشعة إفترّت من شفتين عنابيتين، قـدٌّ يتمايل غنجاً ودلالاً فتميل معه الرغبات، نظرةٌ دافئةُ على إيقاع عـود وصوت عندليب، الحبّ أيها السادة هـو الفرح ولا شيء غير الفرح.

نحن في هذا الشرق كل طقوسنا ثقـافة موت، لا شيء نفعله إذا أردنا الاستجمام غير زيـارة ضرائح الأوليـاء وتقبيل القبـور والتبرك بتراب جُبِل بالدماء. نحن بكاؤون ندابون لا نتقـن إلا التذمر والعـويل والآهات، منذ العصر الجاهلي ونحن نقف على الأطلال ونبكي الخـرائب، وعندما افتتحنا الدنيـا وأصبحنا أسياد العالم القديم لم نتقن الا سفـك الدمـاء والتفجع على الامـوات وتحجيب النساء الحـرائر واقتناء الجواري والغلمان. عندما قتـل الحجاج بن يوسف الثقفي مليون رجل قبـل أكثـر من ألف عام حيث كان عدد سكان الكـون لا يتجاوز الخمسمائة مليـون أي ما نسبته قتلى الحرب العالمية الثـانية، وكذلك فعـل أبو مسلم الخرساني من بعده، ثم بكينا موتانا ولا زلنا نبكي ولبسنا السواد ولا زلنا نلبس، وبـدل مـن أن نجـابه الحكام الظالمين زهدنا في الدنيـا فتصوفنا وسحنا فـي البـراري والقفـار وأصبحت مذمة الدنيا إحدى فضائلنا، ونشرنا ثقـافة أنّ الحياة الدنيا نجاسة وخساسة وظلم واستبداد ومـرض وخيانة وزنـى واغتصاب، وأنّ لا خلاص إلا بالحياة الآخـرة فامتلأت قلوبنا بغضاً وحقداً وكراهية وأصبحنا باطنيين مزدوجين وأجلنا الفـرح والسعادة الـى ما بعـد الحياة فغدا الحزن واقعـاً معيشياً والفرح أملاً يرتجى، وتسألوني عن الحبّ، إنه صناعة الفرح ورعشة الحياة في بلاد الأحـزان والأمـوات، إنه شهقة ثـدي تحدى الكبت ونهـد، إنه ابتسامة ثغـر تحدى الحجاب وابتسم، إنه إبداع شاعر إستطاع أن يثقب جدار الطقوس ليدخل الهواء الطلق الى غرف القلوب المتعفنة، إنه صرخة ثائر يريد أن يصنع قدره بيديه.

الحبّ يـا أصدقائي أفهمه إذا فهمت نفسي.

أولاً: أنا كائن حيّ ولذا الحبّ نبض الحياة وخلجاتها، تموجات مشاعرها وأحاسيسها، ترددات آمالها وأحلامها، بهرجة ألوانها وعطورها، دفء نورها ولذع نارها.

ثانياً: أنا كائن أملك إرادة حرّة استطيع أن أقول نعم واستطيع أن أقول لا، لذا الحبّ اختيارٌ حرٌّ دون إكراه أو إجبار، الحبّ ليس عادة نتعودها أو طقس نمارسه أو منهاج تربوي نتدرب عليه، إنه الحرية بأعمق معانيها، إنه قدرة الانسان أن يقول للشيء كن فيكون، إنه قانون الجذب الذي هو أهم قانون طبيعي فنحن لسنا إلا إرادتنا الحرّة تتجسد واقعاً من لحم ودم، ولهذا كان الحبّ ميدان تصول فيه النفوس الحرّة وتجول، العبيد لا يعرفون الحبّ، انهم كديدان الأرض تحركهم غرائزهم، يعيشون كالديدان بين عفن المنفعة ورطوبة شهوة التملك، يخنقون حرية الآخر وينتزعون منه خصوصية شخصيته باسم الحبّ، العبيد الذين لا يعرفون لذة التحليق في الأعالي ومواجهة العاصفة بأجنحة من نار، اللذة بالنسبة اليهم رطوبة لزجة لا تعيش إلا في الأماكن المعتمة المتعفنة، تتشنف آذانهم طرباً وهم يستمعون الى صلصلة القيود في أرجلهم وأعناقهم، قيود الطقوس والتقاليد المتوارثة جيلاً بعد جيل، دائماً يسيرون على طرق سار عليها الآخرون، لا يتجرأ الواحد منهم أن يشق طريقاً لنفسه في أرض بكر لم تطأها أقدام إنسان من قبل، كل فكرة لم تمضغها آلاف الأفواه فكرة تخيفهم، كل رؤية إبداعية تجعلهم يرتجفون منذعرين، أين هؤلاء من العشاق الحقيقيين الذين يدغدغون بكر المعاني ويرتشفون خمر الفرح من ثغور حسناوات أنجبتها شردات خيالاتهم.

ثالثاً: أنا كائنٌ عاقل والعقل هو معرفة حدود الأشياء والوقوف عند تلك الحدود "كما أنبأنا بذلك سليمان" ولأني كائنٌ عاقل أعرف أنني قبسٌ من نور الله الشعشعاني، شفاف بشفافية ذلك النور متألق بتألق ذلك النور، أضيء ولا أحرق كما ذلك النور، أشرق على من يستحق وعلى من لا يستحق، فأنا أمارس ذاتي ومن واجبي أن أكون صادقاً في ممارستي لذاتي ولأني كائنٌ عاقل أعرف أنّ الجمال هو بهاء العدالة، كل شيء عادل هو شيء جميل، وأعرف أيضاً أنّ العدالة هي التناغم مع قوانين العقل الكلي المزروعة في جوهر الانسان اختياراً حراً وفي بقية المخلوقات جبراً وضرورة، فلكي أكون جميلاً من واجبي أن أتناغم مع قوانين العقل

الكلي وقـوانين الطبيعة، وعندما يتم التنــاغم أشعر تلقـائياً أنني منجذب الـى الأشياء المتناغمة وعلى رأسها الانسان الآخـر، هذا هـو الحبّ فـي أعلى عـلاه أيها السادة، إنجـذاب إنسـان متنــاغم مع قـوانين العقـل والطبيعـة الــى إنســان آخـر متنــاغم بـدوره، وعلى أوتــار ذلك التناغم المشترك يعـزف الاثنان سيمفونية الحبّ الخالدة، إنها السعادة القصوى التي تكـون المعرفــة إحدى بيادرها والابداع غلّة حصادها.

صونيـا: أنا أفهم الأمـور فهماً بسيطاً، الانسان حيـوان متطور يشارك الحيـوان في الحياة والغريزة وينفرد عنه في العقـل والارادة الحرّة، إذا عرفنا الطريقة التي يعمل بها قــانون الجذب الطبيعي ، سواء جذب الأشياء الينــا أو انجذابنا نحن الى الأشياء، عرفنا الكثير من أسرار الحبّ وشؤونه وشجونه.

الذكــر الانساني ينجذب الى الأنثى لأنه يستبطن في لاوعي غريزته كونه أباً بالقوة، ويسعى ليصبح أباً بالفعـل. وكذلك الأنثى هي في لاوعي غريزتها أماً بالقوة وتسعى لتصبح أماً بالفعـل.

كذلك الذكــر ينجذب فــي لاوعيه الغـرائزي الــى مصارعة رفاقــه الذكور وقهرهم للوصول الى مرتبة الـرئاسة والسلطة وهذا يـدل أنّ نزعة التسلط غريزة أصيلة في الذكــر يتشارك فيها الحيـوان والانسان الصراع حتــى المـوت فــي بعض الأحيـان للوصــول الــى السلطــة والتلذذ بالسيطرة والسيــادة. كذلك الأنثــى تنجذب بلاوعيها الغرائزي الى الذكــر الذي يحميها ويدافع عنها وهذا جـزءٌ من غريزة الأمومة لديها فهي في لاوعيها تملك هـاجس التأمين على سلامة أطفالها. هذا الجانب الحيواني في الانسان يفسر الكثير من تصرفات البشر ويسلط الأضواء على بعض المفاهيم وكيف تطـورت وكيف تمظهرت بأشكال متنــوعة. دائماً الذكــر الأقـوى فــي كل الأنــواع الحيوانية يصارع لبسط سيطرته على الأنثى الأفضل عافية وجمالاً، وهو في الغالب لا يكتفي بواحدة وفي بعض الأنــواع الحيوانية يحاول الذكر الأقوى أن يحتكر لنفسه تلقيح كل إنــاث قطيعه وعدم السماح لأي ذكر آخــر الاقتراب من الإناث، وقد يصل ذلك الى نشوب معارك طاحنة تسيل فيها الدماء وتتكسر القرون.

هنا يجب أن نميز بين مظـاهر القـوة في الذكر الحيواني وبينها في الذكر الانساني، القوة في الذكر الحيواني هي قوة بيولوجية صرف يحددها تركيب الجسد، بينما القوة في الذكـر الانساني وبعد تطوره وارتقائه لم تعد تقتصر على قوة الجسد بل أصبحت تعني قوة النفوذ والسلطة، وهي تكاد تتمركز اليـوم في قـوة المال، فأصحاب السلطة والمال هم الأقـوياء فـي الزمن الحاضر ولذلك هم الذين يحاولون بسط نفوذهم على أكبر قـدر ممكن من النساء للتمتع بغريزة الغلبـة والتلذذ بحمايتهم لأكبر قـدر ممكن مـن الإنـاث. ولما أصبحت مصادر القـوة أي السلطة والمـال يمكن أن تحوز عليها الإناث في العصر الحديث أصبحت الأنثـى أيضاً تحاول بسط نفوذها على أكبر عدد ممكن من الذكور ليعيشوا تحت حمايتها والتلذذ بغريزة التسلط ولكن أخف وطـأة من الذكـر لأن هذه الغريزة طبيعية في الذكر وليست طبيعية في الأنثى.

السؤال أيـن يقع الحبّ فـي هذا الجانب الحيواني مـن السلوك البشري، هل نقول أنّ الاختلاف فـي الانتماء الطبقي هو الذي يثمر بعض قصص الحبّ، كأن ينجذب أمير لإحدى فلاحاته، أو رجـل أعمـال لإحدى مـوظفاته، أو العكس أن ينجذب فـلاح أو عامـل أو موظف لإحدى النساء المنتميات الـى مراكز القـوى. وهل هذا التباين في الانتماء الطبقي هـو المسؤول عـن توليد عواطف مكبوتة تحاول أن تظهر الى العلن فتتمظهر بمظاهر الحبّ، أنا في هذا المجال أفهم الأمور فهماً واقعياً وهو أن صاحب النفوذ رجـلاً كان أم امـرأة يستطيع أن يحصل علـى طلبـاته بالغلبـة والقهر اللذين يتمظهران فـي العصر الحديث تهذيباً ولبـاقة ببعض المظـاهر النـاعمة الحـريرية ولكنهما في جوهرهما يبقيان غلبـة وقهراً.

هنـا أريد أن أسأل نفسي وأسألكم سؤالاً طالما راودني وأنا أقرأ الكثير من الغزل في الشعر العـربي وخصوصاً فـي العصر العباسي. أن يظهر الرجـل الذكر الذي يملك السلطة والمـال الضعف والتذلل أمـام معشوقتـه التي غالبـاً ما تكون جارية تشترى وتبـاع فـي أسواق النخاسة، ويصور الشاعـر المعشوقة متمنعة لامبالية كلما اقترب منها ابتعدت عنـه غنجـاً ودلالاً وإمعـاناً في مزيـد من الإغراء، أليس هذا نوعاً من المجـون، أليس هـو ذروة تبجح الرجـل بقـوته وسيطرته التـامة، ألا يظهر ذلك أنّ الرجـل القوي المترف الذي يعيش غالبـاً في قصر مليء بالجواري والغلمان والخدم

والمماليك لم يعـد عنده مـن أبواب اللذة بعد أن استنفذ كل ما خطر على بال شيطان إلا أن يعبث بعـواطف تلك الانثـى المغلوبـة التي تعلم في قرارة نفسها وبالدربة أن مصيرها متعلق برضى الرجل عنها والتزامها لأوامره ونواهيه. ولو قلنا أنّ الجارية تخص أميـراً مـن الأمراء، وتعلق الشاعر بجمالها ألا يستطيع بكل بساطة أن يطلبها مـن الأمير كجائزة مديح، وهل هـي عرض الأمير لكي يحجبها عن عين شاعره أو يغـار عليها كما يغار على عياله، إنها مجرد جارية يبيعها ساعة يشاء ويشتري مثلها ساعة يشاء.

والأدهى مـن ذلك عشق الغلمان، إنه أقصى حالات الشذوذ والمجون والعهر، شاعر في الخمسين أو الستين ينـال جائزة قصيدته المدحية آلاف الدنانير الذهبية يهيم بغلام قد لا يكون تجاوز الخامسة عشرة أي طفـل بالمعنى القـانوني، وهـو رقيـق اشتراه أصحابه مـن أسواق النخاسة وتربـى على أساس أنّ وجـوده المريح مرتبط بقدرتـه علـى تلبية طلبات سيده بغض النظر عن نوعيـة تلك الطلبات، يأتـي الشاعر ويتدله بعشقه ويصف لـوعته وحسراته مع وصف دقيـق لجسد ذلك الغـلام المسكين بحور عينيه الناعستين وقـدّه الذي يتمايل كغصن البان وإليتيه اللتين تشبهان كثيب الرمـل النـاعم ثم يتباهى الشاعر كيف أنـه احتـال عليه وسقـاه الخمرة فأسكره ثم ضاجعه على حين غـرّة، هذا هو الحبّ في الشعر العربي أيها الأصدقاء، وهو ما زلنا نردده ونترنح لسماعه حتى اليـوم، برأيي المتواضع أنّ العهر أصبح قاعدة في هذا الشرق اللعين، وهـل رجـال السياسة وأصحاب النفـوذ يفعلـون غيـر ذلك فـي الجمـاهير المسكينة، وهـل أصحاب المـال والسلطة الآن يفعلون غير ذلك بمظاهر تتماشى مع العصر، أليس أكثر الموظفات في هذا الشرق هنّ نسخة منقحة عن جواري الأمس، أليس الأزلام والعسس هم نسخة منقحة عـن مماليك الأمس وغلمانه. لا تقولوا يوجد في الشرق حبّ حتـى تتحرر المـرأة وتغدو مساوية للرجل في جميع مجالات الحياة وخصوصاً في الانتاج، طالما قوانين الأحوال الشخصية لا زالت في قبضة المراجع الدينية فلا تحـرير للمـرأة لأن كل تلك القوانين تكرس السلطة الأبويـة، الرجل هو السيد ربّ البيت والمرأة ضمن ممتلكاته يفعل بها ما يشاء.

الحبّ يتطلب منـاخ ثقـافي عقـلاني علماني واقعي بعيد عن الفكر الغيبي الخرافي، الحبّ يتطلب حرية وديموقراطية فالديكتاتور في حقيقة الأمـر ليس إلا مغتصب لكل شـيء، يغتـصب العقـول ويغتصب الحـريات يغتصب الكـرامات، يغتصب حـقّ المواطن في العلم والعمـل، يغتصب حـقّ التفكير والتعبير، وأخيراً يغتصب مقام الله ويطوّب نفسه ظلاً لله علـى الأرض، ويعطي نفسه صفة العصمة ومن يخالفه الرأي جهراً أو سراً يعطيه صفة العميل الخائـن والمـارق الزنديق. شـيءٌ آخـر أريـد أن أضيء عليه فـي هذا المضمار وهـو أنه فـي عصر الغلمان والجـواري، وحيث أنّ الكثير من أبنـاء الطبقات المهيمنة سياسياً واقتصادياً تربـى أبنـاؤها على يـد أولئك الجـواري وعاشروا الغلمان في بيوتهم فنشأوا إما شاذين جنسياً وإما عاجزين، وهذه مظاهر نـراها فـي كل الحضارات المشابهة ولما كبـر الأطفـال ووجدوا أنفسهم لا يملكون الفحـولة ليسيروا علـى نفس نمط آبائهم حاولوا أن يموهوا على واقعهم الذي لم يكن يتقبله مجتمع الصقور بادعاء الحبّ والهيمـان وبالامتنـاع عن الزواج تقديساً لذلك الحبّ، والحقيقة غيـر ذلك تمـاماً، ولقد مـرّ معي في أدب التراث أنّ أبا نواس كان يتغزل بجارية اسمها جنان ويصور نفسه متيماً محروماً أضناه التمنع يتمنى أن تجـود عليه جنـان ولو بنظرة عطـوفة أو ابتسامة دافئـة، ولكنها تتمنع لتزيده ألمـاً وحسرة، وعندما روجعت جنـان في الأمر قالت لو كان يحبني حقاً ويشتاقني صدقاً لقدمت له عنقـي ليطأه بحذائـه ولكنه يتماجـن ويتعهر ليس إلا فهو رجـل مخنث لا يقـارب النساء. ولو درسنا حـالة جميل بثينة ومجنون ليلى لظهر لنا العجب العجاب فجميل وقيس كل واحـد منهما إبن لزعيم القبيلة، ومن المعروف أنّ أقصى حلم لأي فتـاة فـي القبيلة أن تقترن بإبـن زعيمها فما الذي منع جميل إذن من الاقتران ببثينة طالما أنه مـوله بها وكذلك قيس، ولقد أطلق المؤرخون أخبـاراً خارج سياق عادات الناس تلك الأيام، فمن المعروف عند العرب أنّ من يشبب بفتاة يلزم على الزواج بها كي لا يفضحها وليس العكس كما نـرى في قصص جميل وقيس وغيرهما، وهذا كله يـدل أنّ تلك القصص هي نـوع جديد من التعهر والتماجن كان القصد منها أن تكون مادة تندر فـي ليالي السمر على موائد الشراب، أو أنّ الباطنية ابتدأت تذر بقرنها منذ ذلك الوقت المبكر فـي الصراع علـى السلطة بيـن آل البيت والأمـويين والعباسيين حيث إضطر الشعراء المـؤيدون لآل البيت ولنظـرية الإمـام المعصوم أن يرمـزوا

بحبيباتهم لتكون البديـل عن إسم الإمــام. مهما يكـن من كل ذلك دعوني أنهي كلمتي بالقـول أنّ الحبّ أولاً وأخيراً إحترام متبادل وثقة متبادلة وإحساس بالتكامل وتجاذب جمالي معنــوي ومــادي بين الرجـل والمــرأة. وكل ذلك يحتــاج الى نظــام سياسي ديموقراطي ونظـام اقتصادي يوفر فرص العلم والعمل لكل المواطنين ذكوراً وإناثاً، ويفتح بــاب التطور والارتقـاء حتى مصرعيه، ويقرّ بأن كل فرد مهما كان جنسه أو لونــه أو قوميته أو عقيدته يملك شخصية متكاملة مستقلة فلا هـو امتداد لأحد ولا هو ظل لأحد ولا هــو استنساخ عــن أحد، وكل ذلك يحتاج الى سلم قيم جديد ومثل عليا جديدة للأسف لا زالت غيــر متوفرة في أغلب دول العالم حتى اليــوم.

عبيـــدة:

هــل غـــادر الشعــراء مـــن متـــردم
أم هــل عـــرفت الــدار بعــد توهـــم

لحــاكم الله وشاهت وجــوهكم لم تتــركوا لــي شيئاً أقوله من بعدكم ولذا سأقدم كلمتي شعراً:

يــا ربــة الحبّ أيـــن الحبّ قد ذهبـا — إذ بـــات عبـداً لعبـد يعبد الذهبـا
صـــوني جمــالك عن أصنام واقعنـا — فبئس مــا كسبوا أو بئس ما كُسبا
كم مــن جمــال يثيــر المــال شهوته — وشهوة المــال داءٌ يــورث العطبا
يـــا ربـــة الحبّ لا مــــال ولا ذهب — نحن الألـــى يكنزون الحبر والكتبا
نحــن الألــى انجذبوا للنـور في فرح — فشعشع النــور في أشعارهم طربا

سليمان: إسمحوا لـــي أن أعـود الى بدء التكوين، فالله سبحانه الجميل بجماله، الكريم بكرمه، العـــالم بعلمه، القـــادر بقدرته، العـارف بعرفانه، أشتاق أن يرى صورة ذاته على غيــر مرآة ذاتـــه فأبدع من نـــوره الشعشعاني المتجوهــر بالشوق الواعي الحرّ صورة كاملة بالــوعي والحرية هي العقل الكلي، واستحسن الله هذه الصورة فناداها متحبباً أن تقبــل اليه، ولما سمع العقــل نــداء الله المعنوي عصف الشوق في جوهره فأقبــل ملهــوفاً يريد ارتشاف كــؤوس المعرفة الالهية حتـــى الثمالة، فتولد من إقباله

حرارة الحركة العاشقة المتـولهة لطلب المـزيد، ولما سكن العقل واستقر في معرفة ربــه مطمئناً سعيداً بتلك المعـرفة تولدت بـرودة اليقين والسلام، ثـم تفاعلت حرارة العشق مع بـرودة اليقين فتولدت دوائـر الوجـود التي أخذت بالظهـور واحـدة إثـر الأخرى فـي تـراخ مـن الزمن. إنه انجذابٌ واع الى جلال جمال النور الشعشعاني بشوق ولهفة لطلب المزيد مـن الاستنارة، ثم سكـون واطمئنان فـي جوهر يقين ذلك الجمـال والجلال. من هنا كل حبّ لا يبنى على قوة جذب طبيعية وليست صناعية أو مصطنعة يبثها عقـل العاشق ثم عاطفته ثم جسده، يكـون إدعـاءً كاذباً للحبّ، وربما يحـقّ للبعض أن يسميه تماجنــاً أو مجـوناً. في هذا التصور تأخذني أفكارٌ كثيرة الى هنــا وهنــاك، اذا كان الحبّ في جوهره هو انجذاب الانسان الى الله، ألا نستطيع أن نقول أيضاً أنّ الحبّ هــو جذب الانســان الله اليــه، وهنــا يصبح العــاشق معشوقــاً والمعشوق عاشقــاً والاثنــان يصبحان حــالة عشــق واحـدة، وأظن أنّ ثمرة إنجذاب الانسان الــى الله هــي السعادة التــي لا تحدها حدود، وانجذاب الله الى الانسان هــو حركة إبداعية تجتاح الانسان لتجعل منه مبدعاً خلاقاً كخالقه.

هنــا تأخذنــي فكــرةٌ أخــرى هي أنّ الانسان في أصله كان طاقة شوق واعية تسعى لمزيد من الــوعي، وعندما بدأت هذه الطــاقة تتحرك لارتشاف أكبـر قدر ممكن من أنــوار الوعــي بجلال كمالها المجرد، إنفعلت بوعيها فتولد من ذلك الانفعال العاطفة والمشاعر، ولما هـدأت المشاعر قليلاً وتاقت الى التموضع ولد الجسد كتلة كثيفة في قلبها نـار المشاعر ونور الشوق الواعي. أفهم من ذلك أنّ الحبّ حالة جذب وانجذاب عقلاني تهفو لمعانقة الجمال الــواعي المتوازن المتناغم مع بهـاء أنوار العقل الكلي، ثم تتوالد مشاعر التقــارب ومحاولة الاتحاد، وتبرز ظاهرة جدلية العلاقة بين الروح والجسد، فلا الــروح تستطيع أن تمــارس ذاتهــا إلا مــن خلال جــوارح الجسد، ولا الجسد يستطيع أن يعطي لحــركته أي معنــى أو غايــة أو ثمـرة إلا من خلال طبائع الروح، وفــي هـذا المجــال أيضاً تــولد الكثير مــن العـراقيل في حالات الحبّ غير المكتمل، فالجسد بطبعه كثيف وراحتــه دائمــاً فــي الانجذاب الــى الأسفل، والـروح بطبعها شفــافة وراحتها فــي الانجذاب الــى الأعلى، وهنا يتــرنح العشاق بين راحة

الجسد وراحة الـروح لأن مفاهيمهم عـن جدلية العلاقة بين الاثنين مفـاهيم غامضة وخصوصاً تراتبيتها.

شيءٌ آخـر أريـد أن أضيء عليه وهـو أنّ الله عنـدما أبـدع العقل الكلي من نوره الشعشعاني كان مغروزاً في جوهـر العقـل طبيعتين فطـريتين هما الوعي والحرية ولذلك كان شوقـه شوقاً واعيـاً حراً، وكان انجذابه الى ربه انجذاباً واعياً حراً، ولذا كل عاشق حركـة شوقـه وانجـذابه ليست حـرّة واعيـة تكـون حـركته مغشوشة أو مصطنعة أو فـاسدة، فمن يتحـرك تحت ضغط الكبت أو الرغبـة بالانتقال من موقع الى موقـع، أو بدافـع غـريزة حبّ التملك والاستئثار، او بدافـع الشبق والجمـوح الشهـواني أو بدافـع الانفعالات المتناقضة كل عـاشق مـن هذا الطـراز هو بضاعة فاسدة وضعت خطـأ فـي خانـة العشق، فالحبّ كما سلف وقلت وكما نقـول حركـة الانسان الـواعي غاية وجوده والساعي لتحقيق تلك الغايـة، أي تحقيق إنسانيته، إنها حركة الانسان الحـرّ غيـر المكره ولا المجبر والذي لا يحركه كبت أو قهر أو حبّ الغلبة أو غريـزة التملك.